التناسب البلاغي
في شعر ابن الآبار الأندلسي في الزهد
قصيدة "دنياك للأخرى سبيل سابل"
نموذجاً

عايدة عبد العزيز محمد قطب زعلوك

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر

التناسب البلاغي في شعر ابن الآبار الأندلسي في الزهد
قصيدة " دنياك للأخرى سبيل سابل " نموذجاً

عايدة عبد العزيز محمد قطب زعلوك

البريد الإلكتروني:ayidaabdelaziz @azhar.edu.eg

استاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر

الملخص

يعد موضوع التناسب البلاغي من الموضوعات المهمة التي لقيت اهتماماً كبيرًا في الدراسات البلاغية باعتباره موضوعاً مهماً يظهر الارتباط الوثيق بين أجزاء الكلام ليظهر كالبناء المتلائم الأجزاء.

لذا يأتي اختيار موضوع بحثي في التناسب البلاغي في الزهد لابن الآبار الأندلسي في قصيدة " دنياك لأخرى سبيل سابل – فاعمل لها إن الموفق عامل " لسببين:

السبب الأول: بيان التناسب البلاغي في القصيدة

السبب الآخر: احتفال القصيدة بالمواعظ والإرشادات النافعة للمتلقي في الدارين وأثر التناسب في بيانها وتجسيد معانيها وترسيخها في نفوس السامعين.

وتتمثل إشكالية الدراسة في السؤال الآتي: ما المغزى من دراسة موضوع البحث؟ فالمنهج النقدي البلاغي أداة فاعلة في قراءة النصوص وإضاءتها، ومن هنا هدفت الدراسة إلى بيان فاعلية المعنى البلاغي في بناء الشعر من خلال التحليل البلاغي لقصيدة (الزهد) لابن الآبار في محاولة فهمها، وتفسيرها من خلال مكوناتها البلاغية و اللغوية والإيقاعية من غير النظر إلى الغاية التي نشدها مبدعها منها، وقد اتبعت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي الاستقرائي القائم على الوصف والتحليل ، وقد أكدت الدراسة تطبيقيًّا أن المنهج النقدي البلاغي في تحليل النصوص مقنع ؛لأنه قائم على النصّ نفسه دون أن يفرض عليه تفسيرات مسبقة ،

وأن عنوان القصيدة جاء لصيقًا بمجراها ، وأن اختيار المفردات والتراكيب وانتقاءهما في قصيدة(الزهد) لابن الآبار له خصيصة في إضاءتها وكشف مكنونها، وأن حركة الأفعال وأبعادها الزمانية وفاعلية الجملة الاسمية أسهمتا في تشكيل رؤى الشاعر ،وأن قصيدتنا جاءت عملًا فنيًّا منسجمًا في إيقاعها الخارجي والداخلي بما يتناسب مع غرض القصيدة الناصح الواعظ ، ومحاورها الدلالية .

الكلمات المفتاحية: التناسب البلاغي – شعر ابن الآبار الأندلسي– الزهد – قصيدة " دنياك للأخرى سبيل سابل "

Rhetorical proportionality in the poetry of Ibn al-Abar al-Andalusi in asceticism
The poem "Dunyak for the other is a way of sable" as a model

Aida Abd El , Aziz Mohamed Qutb Zaalouk
Email: ayidaabdelaziz@azhar.edu.eg
Assistant Professor, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University

Abstract:
The topic of rhetorical proportion is one of the important topics that has received attention in rhetorical studies as it is an important topic that shows the close connection between parts of speech to appear as a structure that matches the parts. Therefore, I chose the topic of my research on the rhetorical proportions in asceticism by Abu Al-Abar Al-Andalusi in the poem “Your world is for another, a way of sable - so work for it, for the conciliator is a worker”.
For two reasons :The first reason: explaining the rhetorical proportion in the poem .
The second reason: The topic of asceticism contains a lot of preaching and guidance to the recipient.
The problem of the study is represented in the following question: Can the critical-rhetorical approach be an effective tool in reading and illuminating texts? Hence, the study aimed to demonstrate the effectiveness of rhetorical meaning in constructing poetry through the rhetorical analysis of the poem (Asceticism) by Ibn al-Abar in an attempt to understand it and interpret it through its rhetorical, linguistic, and rhythmic components without regard to the goal sought by its creator. The researcher followed the Study it a The descriptive-inductive approach based on description and analysis. The study confirmed in practice that the critical-rhetorical approach in analyzing texts is convincing because it is based on the text itself without imposing prior interpretations on it, and that the

title of the poem is closely related to its course, and that the choice of vocabulary and structures and their selection in the poem (Asceticism)) Ibn al-Abar has a special characteristic in illuminating it and revealing its hidden content, and that the movement of verbs, their temporal dimensions, and the effectiveness of the nominal sentence contributed to the formation of the poet's visions, and that our poem was a work of art that was harmonious in its external and internal rhythm in a way that is commensurate with the purpose of the poem, the advisor and preacher, and its semantic axes.

Keywords: rhetorical proportion - the poetry of Ibn Al-Abar Al-Andalusi - asceticism-

Poem: "Your world for the next is a sable path"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد – صل الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهدية وصار على نهجة إلى يوم الدين.

اما بعد ..

فالتناسب لا يظفر به إلا من صفت قريحته ، ويتحقق باقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد ، فالتناسب يبحث في العلاقات المختلفة بين أجزاء النص سواء أكانت ظاهرة أم خافية.

واخترت موضوع البحث لجدته، ولأن القصيدة اشتملت على أنواع من التناسب منها تناسب التركيب سواء كانت ألفاظًا أو تراكيباً ،. ، ومنها التناسب البياني الذي هيأ النفس لقبول المعنى ، و منها التناسب البديعي الصوتي بين أصوات اللفظة الذي ظهر من خلال الإنسجام بين الأصوات مع بعضها البعض فأحدث نوعاً من الانسجام الصوتي والتألف الموسيقي والتناسب بين حروف الكلمة الذي شكل أنغاماً من خلال حسن اختيار الكلمة وتناسب مخارجها .

الهدف من البحث:

إظهار وجه التناسب اللفظي والمعنوي وبحث العلاقات المختلفة بين أجزاء النص سواء أكانت ظاهرة أو خافية . من خلال بيان تناسب التركيب سواء كانت ألفاظًا أو تراكيباً في بناء القصيدة وتفسيرها وفي تشكيل رؤى الشاعر.

–بيان التناسب البياني في بناء القصيدة والإفصاح عن غرضها الرئيس القائم على النصح والوعظ .

–الكشف عن التناسب البديعي وإظهار فاعلية تناسب الإيقاع في بناء القصيدة وتفسيرها سواء داخليًّا أكان أم خارجيًّا في بناء النصّ الشعري ، وكشف أسراره الدلالية .

الدراسات السابقة :

تعددت الدراسات التي تناولت فاعلية التناسب البلاغي في بناء الشعر، ومنها:

١- حماني ، محمد،(٢٠٢٤) فاعلية التناسب البلاغي في انسجام الخطاب الشعري ، ٢٠٢٤ : دار حكاوي للطباعة والنشر .

٢- العطوي، عويض بن حمود. التناسب البلاغي في سورة الشمس، مجلة الآداب. مج. ٢٦، ع. ١ (٢٠١٤).

٣- علي، سلامه دردير محمد، التناسب البلاغي في تناسق الصفات المفردة الزائدة على الثلاث للموصوف الواحد في الذكر الحكيم، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، ع١٦, ج١، ٢٠١٩م.

وهذه الدراسات وغيرها قدَّمت تطبيقًا عمليًّا لفاعلية التناسب البلاغي في قراءة النصوص سواء أكانت قرآنية أم شعرية ، لكن لم أقف على دراسة -بحسب علمي -تناولت موضوع التناسب البلاغي في الزهد لأبن الآبار الأندلسي قصيدة " دنياك لأخرى سبيل سابل – فاعمل لها إن الموفق عامل على نحو ما جاء في هذه الدراسة.

منهج البحث :

اتبع البحث المنهج الوصفي القائم على تحليل بلاغة النظم والبحث في العلاقات المختلفة بين أجزاء النص سواء أكانت ظاهرة أم خفية.

حدود الدراسة :

وعدد أبياتها سبعة وعشرون بيتًا، وقد نُشرت ضمن ديوان شعري بعنوان: ديوان ابن الآبار ص ٩- تحقيق عبد السلام الهراس وزارة الأوقاف والشؤون والمقدمات الإسلامية – المغرب ١٩٩٩م.

خطة البحث :

جاء البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع

- المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وحدوده وخطته.
- المدخل ويشتمل على ثلاثة أمور :

أولاً : تعريف التناسب لغة واصطلاحاً .

ثانياً : تعريف الشاعر

ثالثاً : القصيدة .

- المبحث الأول : تناسب التراكيب .
- المبحث الثاني : التناسب البياني .

المبحث الثالث : التناسب البديعي .

- الخاتمة و تضم أهم النتائج والتوصيات،
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات

- المدخل ويشتمل على :

أولاً : تعريف التناسب لغة واصطلاحاً .

مفهوم التناسب :

يدور المعنى اللغوي للتناسب حول القرابة والمشاركة والمشاكلة والاتصال، يقول ابن منظور:" النِّسبة والنُّسبة والنَّسب : القرابة ، وناسبه أي شاركه في نسبه ، والنسيب : المتناسب وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أي قريبه ".[1]

وقال ابن فارس : " النون والسين والباء " كلمة واحدة مقياسها اتصال شيء بشيء"[2]

أمّا التناسب اصطلاحًا فقد تعددت فيه ألفاظهم مع اتفاقها في الدلالة ومن ذلك قول الجاحظ

[1] لسان العرب ابن منظور الأفريقي ، دار المعارف القاهرة ، مادة / نسب دار المعارف القاهرة

[2] مقاييس اللغة أحمد بن زكريا بن فارس ، مادة نسب ط (١) بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

في كتابه الحيوان : " لكل ضرب من الحديث فضرب من اللفظ وبكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ". [1]

ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبين : " سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وأن اللفظ متى شاكل معناه وأعرب عن فحواه في غير تكلف أو استكراه وقع من نفس المستمع موقع الحسن والانتفاع".[2]

وأيضاً ما جاء عن الجاحظ "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة.[٣]

ويقول الخطيب في كتابه الإيضاح عن مراعاة النظير، ويسمى " التناسب والائتلاف "[4]

وأطلق عليه قدامة بن جعفر (ائتلاف اللفظ والمعنى). [5]

ثانياً : تعريف الشاعر :

اسمه : محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر الحافظ العلامة أبو عبد الله القصاعي النبلسي الكاتب الأديب المعروف بابن الآبار . [6]

---

[1] الحيوان(عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ)صـ١٧ ،جـ ٣ ط٢ – دار الكتب العلمية بيروت – ١٤٢٤ هـ.

[2] البيان والتبين أبو عثمان بن بحر الجاحظ ص٩٦ ج ١ – تحقيق درويش الجندي – المكتبة العصرية صيدا بيروت – ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٥/ م.

[٣] البديع ص٦٩ عبد الله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

[4] الإيضاح في علوم البلاغة " الخطيب القزويني " ص ٣٢٣ ، ط ٤ ، دار الإحياء والعلوم بيروت.

[5] نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٥٥ ، ط ١ ، ١٣٢٠ هـ.

[6] الوفيات للوافي صـ ٣٥٥ ، ط ١ ج ٣ ، ١٩٩١ م.

مولده :

ولد ابن الآبار في مدينة بلنسية في فجر يوم الجمعة في أحد شهري ربيع سنة ٥٩٥ هـ. [1]

نشأته وتعليمه :

نشأ ابن الآبار في بيئة تمتاز بجمال الطبيعة وبين أهل عرفوا بحسن الطباع وكرم النفوس وأناقة الأزياء وفي جو علمي مثقف كان والده من علماء بلنسية له علاقات وصلات علمية بعدد من علماء الأندلس عموماً وشرقها خصوصاً اشتهر بملازمته لشيخ الأندلس ، أبي الربيع سليمان الكلاعي إذ كان من أخص بطانته وأدنى صنائعه إليه ".[2]

[1] ديوان ابن الآبار ص ٩– تحقيق عبد السلام الهراس وزارة الأوقاف والشؤون والمقدمات الإسلامية – المغرب ١٩٩٩م.

[2] ديوان ابن الآبار صـ ٩.

القصيدة

دُنَياك لِلأُخرَى سَبِيلٌ سابِلُ ... فاعْمَلْ لَهَا إنَّ المُوَفَّقَ عَامِلُ

واحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً ... بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ

وأَعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا ... أَيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ

إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما ... أَوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ

أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً ... فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ

واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً ... فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أَوْ آجِلُ

منْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه ... مِنْ زَهْرَةِ الدُّنِيا الخَؤُونِ حَبائِل

مَنْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِهِ ... في لجَّةٍ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ

بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ ... وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاهِد ... وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ

للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى ... فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ

مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوكِّلٌ ... وكَفاهُ أنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ ... وعَلَيْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ ... فَرَحاً بهِ وهوَ الحزَينُ الثَّاكِلُ

يهنئك أنْ قُبِلَتْ وَسائُلكَ التي ... هِيَ لِلمُقيم إلى النعيمِ وسَائِلُ

وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً ... وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها ... للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ ... عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

يَا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ ... وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ ... وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ ... وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرِّشَاءُ الوَاصِلُ ... وَارْكَنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاصِلُ [1]

---

[1] ص ٢٦٦– ٢٦٧ ديوان ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن الآبار القضاعي البلنسي (٥٩٥–٦٥٥٨) قراءة وتعليق الأستاذ عبد السلام الهراس

مناسبة القصيدة :

تدعو القصيدة إلى عدم التعلق بالدنيا وعدم الإنشغال بها ، وإيثارها على الآخرة ، وينبغي على الأنسان أن تكون الدنيا أكبر همه

المبحث الأول : تناسب دلالات التراكيب

من عبقرية اللغة أن النظم قوامه توخي المعاني النحوية، ومن شروط النظم أن ترتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني :" لا نظم في الكلام ولا ترتيب ، حتى يُعلَّق بعضها ببعض ، ويُبنَى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك". ([1])

وبتطبيق هذا القانون سنجد أن انتقاء المفردات والتراكيب و اختيارهما في قصيدتنا له خصيصة في إضاءتها وكشف مكنونها ، على النحو الآتي، يقول الشاعر :

دُنَياك لِلأُخرَى سَبِيلٌ سابِلُ ... فاعْمَلْ لَهَا إنَّ المُوَفَّقَ عَامِلُ

وَاحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً ... بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ

وأَعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا ... أَيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ

إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما ... أَوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ

أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً ... فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ

واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً ... فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أَوْ آجِلُ

أي : إن الدنيا طريق للآخرة فعلى الإنسان أن يتزود منها بالخير، والعمل الصالح ما استطاع ، وهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى عبده.

وقد وظف الشاعر ضمير الخطاب في قوله :

"دنياك "بإضافة الدنيا إلى ضمير المخاطب، فهو قد أسندها إلى غيره وليس إلى نفسه مترفعا عن متعها الزائلة فهو منها براء ولم يقل الدنيا دلالة على رسوخ حب

[1] – الجرجاني: عبد القاهر(٢٠٠٠م) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص٥٥

الدنيا في أهلها رغم كونها غدارة ومتاعها فان لا يدوم لمخلوق مصداقا لقوله تعالى:" وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"(آل عمران من الآية ١٤٠)

وافتتح البيت الأول من القصيدة بالجملة الخبرية ،وخص الابتداء بالجملة الاسمية ؛لدلالتها على الثبوت والدوام والاستمرار ،وكأنه يقول أن هذه الدنيا ما هي إلا طريق للآخرة وهي ثابتة ومستمرة على هذا الحال ، وفي هذا تنبيه للمخاطب وإثارة فكره إلى ما حكم به على المبتدأ وذلك ليحرره من الانسياق وراء ملذات الدنيا والانغماس في شهواتها، فهي دار فناء لا تبقى ولا يدوم صاحبها على حال. وبرز التناسب من الجملة الاسمية بوصفها قيمة تعبيرية موحية بالثبات والتلبس بالحدث دون مفارقة له .

قدم متعلق "للأخرى " على" سبيل سابل " لكون ذكره أهم والعناية به أتم ، فالآخرة هي المقصودة بالذات لاعتناء الشاعر بشأنها ، كما أن التقديم أفاد التناسب الموسيقي ؛ لأن التأخير يتضمن اخلالاً بالتناسب الموسيقي فيقدم لرعاية الفاصلة .

قيد "سبيل "ب"سابل" للكشف عن حقيقة السبيل وتوضيح معناه وبه اكتملت الفائدة.

"فاعمل لها إن الموفق عامل":

جاءت الفاء الفصيحة ؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر والأصل فإذا كان الشأن كذلك فاعمل لها ، فجاءت الفاء للإفصاح عن كلام مقدر مستفاد من كلام سابق عليها، فعملت على تآزر الجمل وترابط المفاهيم، ولجأ إليها الشاعر ؛ليوضح ما يريده من أن الدنيا طريق للآخرة؛ فإذا كان الشأن كذلك فاعمل لها العمل الصالح، فترى أنه حقق درجة عالية من التواصل مع المتلقي، ولكي يناسب سرعة العمل ربط ب(الفاء)؛ ليوحي بحركة التحول السريع مما هو عليه، فالتناسب البلاغي أسهم في توضيح المعنى و في الجمع بين الإقناع والتأثير في قلب وذهن المتلقي.

وخرج فعل الأمر " اعمل " من معناه الحقيقي لغرض النصح والإرشاد ، وأسلوب النصح والإرشاد يهتم ببيان الحقائق في جمل قصار وبها تجلى المعنى ، واستخدم الشاعر أسلوب الأمر "اعمل " ليدل على أهمية ما يأتي بعده ، وهو أن الموفق لابد أن يعمل للآخرة ، ثم علل السبب في العمل لأن الموفق عامل حيث أفادت " إن " التعليل والتوكيد مع الإشارة إلى أهمية الخبر وتقريره ، ولذا أكد الخبر ب إن" واسمية الجملة . وعبر بالفعل " اعمل " دون " افعل " ؛ لأن كلمة " العمل " فيها اختصاص العمل بالإنسان دون غيره من المخلوقات في الأغلب والأعمال تشمل أيضاً الأقوال والأفعال.

وقد فصل جملة " اعمل " وجملة " إن الموفق عامل " لما بينهما من كمال الانقطاع المتمثل في اختلافهما إنشاءً وخبراً لفظاً ومعنى ؛لأن جملة " اعمل " إنشائية لفظاً ومعنى ، وجملة " إن الموفق عامل " خبرية لفظاً ومعنى ويمكن ان تكون جملة " إن الموفق عامل " جواباً لسؤال مقدر أثارته جملة " أعمل " وكأن سائلاً سأل ولماذا نعمل ؟ فكان الجواب إن الموفق عامل ويكون سر الفصل بينهما هو شبه كمال الاتصال، فالمانع من الربط بين الجملتين هو وجود الرابطة القوية بينهما فأشبهت حالة كمال الاتصال وعوملت معاملتها .

وانظر كيف

أغنت " إن " في هذا الموضع عن الفاء العاطفة في ربط الجملة بما قبلها لإظهار الإتحاد في الجملة.

يقول الإمام عبد القاهر : " أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به ، حتى كأن الكلاميين قد أفرغا إفراغاً واحداً ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر ".[1]

[1] دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني صـ ٣١٦ قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة ط ٣ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

كما جاء الأسلوب الخبري " إن الموفق عامل " مصحوباً ب " إن " مع أن المخاطب جاهل بالخبر تقريراً له في نفسه من أول الأمر أو تنزيله منزلة المتردد لكون الأولى مشتملة على ما يبين نوع الخبر وتشوق المخاطب إلى معرفته، وفي هذا توجيه من الشاعر بعمل الأعمال الصالحة ؛ لأنه من توفيق الله – عز وجل – للعبد أن يلهمه العمل الصالح قبل وفاته.

ولما كان المطلوب أن تكون الأعمال الصالحة مستمرة ودائمة ناسبه الاسم الدال على الثبوت والدوام فعبر باسم الفاعل " عامل " لدلالة اسم الفاعل على الحدث وصاحبه، فاسم الفاعل كما عرفه ابن هشام هو " ما دل على الحدث و الحدوث و فاعله"([1]))

أضف إلى هذا فإن اسم الفاعل اكتسب الدلالة على ثبوت صفة " العمل " من خلال سياق الجملة الاسمية المنسوخة ، فمن وفقه الله يظل عاملاً للصالحات إلى وفاته

فالتناسب في التراكيب أسهم في توضيح المعنى في قلب وذهن المتلقي.

فالتناسب البلاغي أسهم في توضيح المعنى و في الجمع بين الإقناع والتأثير في قلب وذهن المتلقي.

وَاحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ

يدعوا الشاعر إلى الحرص على نيل السعادة بالبر والتقوى ؛لأنه نعم النائل، وليحقق الشاعر الربط المعنوي عطف هذا البيت على ما قبله " اعمل لها إن الموفق عامل " بالواو للتوسط بين الكمالين ، حيث اتفقا في الإنشائية لفظاً ومعنى.

[1] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ج١٨١/٣

فيظل الشاعر ناصحاً ومرشداً لمخاطبه بأن يحرص على طلب السعادة بالبر والتقوى، فجاء من عناصر السبك أسلوب الأمر ، " احرص " ؛لغرض النصح والإرشاد .

الفاء في: "فنعم النائل" سببية والجملة تذييل غير جار مجرى المثل؛ لغرض توكيد المعنى

ثم يواصل الشاعر نصحه فيقول :

واعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا أيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ

يظل الشاعر ناصحاً بأن يعد الأعمال الصالحة ؛لتكون له زاداً يعينه على الوصول إلى هدفه ؛لأن الحياة ما هي إلا أيام ومراحل ، وقد خرج فعل ألأمر " اعد " من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي النصح والإرشاد .

وفي قوله : " فإنما أيام عمرك لو عقلت مراحل" :جاءت الفاء في " فإنما " للترتيب والتعقيب لتحقق الترابط وتقوية أواصر التركيب حتى صار البيت كله كأنه جملة واحدة ، لأن" الفاء موضوعة لدخول الثاني فيما دخل فيه الأوَّل متصِلاً."([1])، فتعد هذه الجملة السببية أو ما يسمى بالارتباط السببي وسيلة من وسائل الترابط الدلالي وهو صورة من صور التناسب بين اجزاء النص.

ولاستمالة المتلقي وشحذ انتباهه ، آثر التعريف دون التنكير في لفظ " أيام " لإضافتها للفظ "عمرك "ليفيد التفصيل المفضي إلى تقرير المعنى في الذهن أي أن عمرك المعين المحدود مهما طال في الدنيا فهو قليل فالتعريف له دلالة خاصة من حيث ملاءمته للسياق والمعنى ،فمن التناسب اختيار التعريف لأجل السياق، وفي قوله : " لو عقلت " اطناب وصورته جملة اعتراضية أكدت المعنى في نقس المتلقي ، فترى اقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد حقق التناسب.

ثم يأتي قوله محذرًا:

---

[1] – ابن يعيش، يعيش بن علي)٢٠٠١م) شرح المفصل للزمخشري ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ،ط١ ،بيروت :دار الكتب العلمية ، ج١٣/٥

إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما أوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ

وهنا استخدم الشاعر وسيلة أخرى من وسائل النصح والإرشاد، وهي التحذير، فيحذر الشاعر مخاطبيه من الركون إلى الدنيا فهي أمل كذوب، وهذا يكون أدعى لكل إنسان أن يراجع نفسه فيما هو عليه حتى لا يندم بعد فوات الأوان، حذف المسند (الفعل المحذوف تقديرا "احذر") للإيجاز، ف"إياك" ضمير منفصل في محل نصب مفعول به منصوب على التحذير لفعل محذوف تقديره" احذر"

كما حذف المسند العامل النصب في "الامل الكذوب" وتقديره "احذر" للإيجاز ولاتباع الاستعمال العربي، فورد الاستعمال العربي على ترك المسند في مثل هذا الأسلوب .

أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ

ينصح الشاعر مخاطبيه بأن ينتبهوا لأيام العمر بالأعمال الصالحة ؛لأن الفؤاد الذي أصيب بحب الدنيا غافل عن مصيره.

استخدم الشاعر لفظ " فؤاد " دون قلب؛ لأنه يخاطب الحس وليس العضو المادي ، وللفؤاد علاقة وثيقة بما بعده " المفؤود " أي من أصيب في فؤاده.

فلما كانت الغفلة أمراً دائماً ناسبه الاسم الدال على الثبوت والدوام "" غافل " لدلالة اسم الفاعل على الفعل وصاحبه ولدلالة ثبوت صفة " الغفلة" .

واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أوْ آجِلُ

يواصل الشاعر نصحه للمتلقي في التوبة في شبابه قبل شيبه؛ لأن المشيب آت لا محالة، وخرج الأمر من معناه الحقيقي في قوله "اسبق" إلى معناه المجازي وهو النصح والإرشاد.

قدم المسند " له " على "حلول " دفعاً لتوهم خلاف المراد وهو كونه خبراً له لا نعتاً؛ إذ لو أخر لتوهم كونه نعتاً؛ لأنه بعد نكرة، كما أن في تقديمه مراعاة للفاصلة.

ولما كان الأمر يستدعي سرعة التوبة ناسبه الاسم "عاجل – آجل " الدال على الثبوت والدوام.

وتستمر حركة المفردات والتراكيب انتقاء واختيارًا في أداء الدلالات التي قصدها الشاعر المخلص في نصحه ووعظه، إذ يقول :

مَنْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه ... مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا الخَؤُونِ حَبائِل

منْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِه ... في لجُةٍّ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ

بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ ... وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاه ... وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ

تُلْهِيهِ عَنْ عَدْنٍ وَعن أنْهارِها ... بَعْدَ الأَشُدِّ خَمائلٌ وجداوِلُ

ويَشوقُهُ كَهْلاً إلى عَهْدِ الصِّبا ... بَرْقٌ لَمُعٌ أوْ حَمَامٌ هادِلُ

للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى ... فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ

مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوكِّلٌ ... وكَفاهُ أنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ

ترى الشاعر بدأ البيت بالاستفهام ؛لإثارة المتلقي وجذبه ويستفهم استفهامًا غير حقيقي عمن ينجيه ويخلصه من خداع الدنيا ؟ ، فبدأ البيت بالاستفهام وهو ما يثير في النفس الاهتمام؛ ليشوق المتلقي إلى المطلوب وهو سرعة التوبة قبل المشيب، وكلمة " بالنجاة " تدل على حرص الشاعر على طلبه بالنجاة بعد أن انغمس في حب الدنيا

وتراه كرر الاستفهام في البيت الثاني والبيت السابق في قوله " من بالنجاة، من بالخلاص" وهذا اطناب وأيضاً تكرار لفظ "من" في قوله: "من زهرة الدنيا " وفي قوله: "من جهله" وهذا التكرار لم يكن عفوياً وإنما وراءه دلالات خفية أراد الشاعر أن يوضحها من خلال التكرار وهي صعوبة النجاة والخلاص لمن انغمس في حب الدنيا وتأثر بها، ولا يخفي ما لهذا التكرار من إسهام في

الجانب الإيقاعي ؛ لأنه يقوم بتعميق الجانب الدلالي للفظ المكرر، وهو من عناصر تماسك النص من خلال التكرار ، و يمثل التكرار أحد صور التوكيد في النحو العربي وهو التوكيد اللفظي القائم على إعادة اللفظ الأول نفسه ، وهو عند علماء النص " شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام"([1]) ويعده د. تمام حسان أصل الروابط ، فعلاقة الربط عنده " الغاية ، والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى إلى التذكير وأقوى ضماناً للوصول إليه" ([2])، فهو" من أظهر وسائل السبك وأدناها إلى الملاحظة المباشرة" ([3])، إذ إنه يقوم بترسيخ فكرة داخل النص ، من خلال ربط اللاحق بالسابق.

وفي قوله: "في لجُةً رَحُبَت "قدم" في لجة" على "رحبت" لتخصيصه بالفعل.

وليقين ابن الآبار بنهاية الخلائق كلها بالموت، فهو سيف على الرقاب ماض مصداقا لقوله سبحانه :" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ"(الرحمن الآية ٢٦)؛ فوجب الاستعداد لهذه النهاية الحتمية وفي ذلك يقول :

بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

---

[1] – د. محمد خطابي: لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .ص ٢٤.

[2] – البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٠٩.

[3] – د . سعد مصلوح نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية ، المجلد العاشر ، من مجلة فصول العددان الأول والثاني ، يوليو – أغسطس ١٩٩١م .، ص١٥٧.

صعب على الإنسان أن يعيش طول عمره دون أن يعمل حساب لموته، فالموت آت عاجلاً أو آجلاً ، وعبر باسم الفاعل " باسل " لإظهار معنى الثبوت والدوام لصورة الموت بالليث الذي ينتظر الإنسان.

من هنا سنرى مصيرين لا ثالث لهما إذ يقول :

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاهد وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ

يوضح الشاعر في هذا البيت ثواب من جاهد في العبادة بالفوز وعقاب من تكاسل بالخسران ، فيبدأ الشاعر البيت بالأسلوب الإنشائي المعبر عنه بـ " النداء"؛ ليلفت انتباه السامع وللتشويق لما سيذكر بعده وهو فوز من جاهد في العبادة، والنداء – هنا – يمثل آلية لغوية استعان بها الشاعر لاستحضار الفائزين إشارة إلى رفعتهم فهم أجدر بالفوز لطاعتهم وخضوعهم لله –عز وجل– ولجهادهم في سبيل الله.

"في العبادة " عبر بحرف الجر " في " ليدل على خشوعهم في العبادة وأنه لا يشغلهم شاغل عن عبادتهم فكأنهم امتزجوا بها ودخلوا فيها.

وظف الشاعر ضمير الغائب (هو للزهادة) دون أن يظهر مفسره لفظًا لحضور معناه في الحس

"وخسارة من هو للزهادة جاهل":

وصل بين الشطرين؛ لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظاً ومعنى وفي الجملة " خسارة من هو للزهادة جاهل " إيجاز بحذف حرف النداء والتقدير " يا خسارة من هو للزهادة جاهل فجاء الحذف ليحقق التناسب بين التركيب والسياق.

ويستمر الشاعر في وصف ما جبل عليه الفائز برضا الله ، إذ يقول .

للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ

إن من فاز بسبب جهاده في العبادة فهو مجبول على رفض المعصية وإقلاعه عنها بانشغاله بعبادته ." لله مجبول " ، أي مطبوع على رفض الهوى، "لله مجبول على رفض الهوى "جملة اسمية أفاد ت تقرير وملازمة الشاعر لرفض الهوى فهذه

حالة ثابتة للشاعر لا ينفك منها وزاد من تأكيد هذا تقديم الخبر (لله) على المبتدأ (مجبول) واختيار اسم المفعول يوحي بأن الأمر اختيار الله للشاعر وفي هذا اصطفاء لمن خلصت نفسه للهدى وطريق الحق ، وتستمر البنية اللغوية في رسم نفس الشاعر السوية من خلال اختيار التراكيب و الألفاظ فتأتي الجملة الاسمية في قوله "فله من الإقلاع شغل شاغل "لتؤكد الثبات والملازمة في فرار الشاعر من الهوى ونلاحظ توكيد هذا بتقديم الخبر شبه الجملة "فله "على المبتدأ "شغل "ثم يأتي حذف معمول المصدر (الإقلاع) لتنزهه عن ذكر ما أقلع عنه دلالة علي طهر الشاعر وزاد من توكيد هذا النعت في قوله (شغل شاغل) فلا يشغل الشاعر شيء غير الله.

قدم لفظ الجلالة " لله" للتبرك وللتعجيل بالتيمن به ، وللتخصيص فالعابد قد أفرد الله الواحد الفرد الصمد بالعبادة ورفض هوى النفس الأمارة بالسوء ، ولعل اختيار اسم المفعول مجبول يدل على الحدث والحدوث والثبوت ومن وقع منه الفعل، وفي قوله " شُغْلٌ شَاغِلُ" مجاز عقلي علاقته المصدرية حيث أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي

فاتضح المعنى من خلال الألفاظ ، فبرز في أسلوب مختار من الألفاظ والتركيب أسهمت في تشكيل المعنى وهو ما يكشف الإبداع عند الشاعر.

مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوكِّلٌ وكَفاهُ أنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ

يستكمل الشاعر وصفه فاز بجهاده للعبادة وذلك بإخلاصه لله وتوكله عليه ويكفيه أن الله سبحانه وتعالى يكفيه كل شر ،وهو كافله.

قد فاز بالعلياء ذكر سائل بسرائر الحسنى ودمع سائل

يذكر الشاعر أن سبب الفوز بالجنة الذكر والخشوع ، وأكد الجملة بـ قد " والفعل الماضي للدلالة على التحقق والوقوع ، فجاء الفعل الماضي مؤكدًا في قوله: (قد فاز)؛ ليناسب دلالة على وقوع الفوز

وامتاز بالتقوى قلب واجب من خوف خالقه وجسم ناحل

يواصل الشاعر وصف من خشع في العبادة وفاز بأنه يوصف بالتقوى والخوف من الله سبحانه وتعالى حتى ظهر أثر الخوف عليه من نحول جسمه.

وجب عطف هذا البيت على ما قبله بالواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين ؛لاتفاقهما في الخبرية لفظاً ومعنى ،وآثر العطف بالواو في "وامتاز" دون غيرها من حروف العطف ؛لأن الواو لمطلق الجمع بين المتعاطفين وهذا مناسب للسياق.

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ وعَليْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزَينُ الثَّاكِلُ

يَهْنِئكَ انْ قُبلَتْ وَسائُلكَ التي هِيَ لِلمُقيم إلى النعيمِ وسَائِلُ

وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

يبشر الشاعر المناجي ربه الكثير الصيام ، القارئ لكتاب الله والعامل للصالحات الذي علم حقيقة الدنيا بأنها ظل زائل بجنة الفردوس فهي له مسكن ومنزل.

" وعليه من غلل الصيام غلائل "

ربط بين الشطرين " بالواو " ليدل على المشاركة ؛فهو مناج ربه وكثير الصيام فعمل على ترتيب الأعمال من مناجاة وكثرة الصيام ؛ليضمن النتيجة التي تترتب على هذه الأعمال فجاء التناسب لفظياً لاستعمال الواو لقصد الإشراك.

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزَينُ الثَّاكِلُ

يستكمل الشاعر صفات المناجي ربه بأنه كان تالياً لكتاب الله فرحاً بتلاوته ومن قبل كان مهموماً حزيناً ، فمن مظاهر التناسب اختيار زمن الفعل المناسب لنسق الكلام وسياقه ،فعبر بلفظ المضارع " يتلو " لإعادة التجدد والحدوث وأن ذلك مازال مستمراً فضلاً عن استحضار الصورة لدى المخاطب وجعلها ماثلة أمام عينه فتحقق التناسب في نسق الجملة، يقول الدكتور أبو موسى: (الفعل المضارع يدل على الحال أي وقوع الحدث الآن ،وهذه دلالته الأصلية ومن هنا كانت صيغته

أقدر الصيغ على تصوير الأحداث ؛لأنها تحضر مشهد حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع، ولهذا الفعل مواقع جاذبة في كثير من الأساليب حين يقصد إلى ذلك وترى المتكلمين من ذوي الخبرة بأسرار الكلمات يعبرون بها عن الأحداث المهمة التي يريدون إبرازها وتقريرها في خيال السامع).[١] ، أتى بالمسند الفعل "يتلو" مقيداً بالحال " فرحاً " لغرض أساسي وهو تربية الفائدة وتكثيرها ؛ لأن الحكم كلما زاد خصوصاً زاد غرابة ، وكلما زاد غرابة زاد إفادة .

" وهو الحزين الثاكل " :

عرف المسند إليه بالضمير؛ لتعيين المسند إليه وهو المناجي والإشارة إلى بلوغ المسند إليه في الصفة مبلغ الكمال فمجيء المسند الخبر معرفاً بأل قد فعل فعله في تأكيد بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة التي تضمنها الخبر فكأن الشاعر يقول هو الحزين المتصف بكمال الثاكل ، واستعمال اللفظ معرفاً دل على شدة التناسب لمراعاة الألفاظ للسياق.

وقوله : " الثاكل " من الإطناب القائم على الإيغال [٢] ؛لأن المعنى تم بدونه ولكن جاء به لنكتة بلاغية ،وهي الزيادة على حزنه ؛لتوضيح صورة أشد الحزن وهو حزن الثكلى وهي من فقدت وحيدها ،ولو قال غير كلمة "الثاكل " لضاع الأثر واختفت الصورة التي رسمها اللفظ، فالتناسب ظهر بين حروف الكلمة مما شكل أنغاماً متناسقة متناسبة وهذا من خلال حسن اختيار الكلمة وسبكها وتناسب مخارجها ، فاختيار الكلمة واختيار موقعها ومناسبتها للكلمة الأخرى أعطاها جرساً خاصاً وايقاعاً مؤثراً كان له أثر في نفس المتلقي فضلاً عن تحقق القافية.

---

[١] خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني، أ. د/ محمد أبو موسى، ٢٦٤/١ مكتبة وهبه.

[٢] الإيغال : ختم البيت بما يفيد نطته يتم المعنى بدونها " الإيضاح للخطيب القزويني صـ ١٩٩ ".

فكان للإيغال دور بارز في تماسك النص وتقوية معناه لما بينهما من قوة السبك المعجمي ، وكان له وقعاً على النفوس بجانب تأكيد وإيضاح المعنى، فاللفظة تمكنت في موضعها من حيث ملائمتها للمعنى فتلائم الصوت مع الغرض الذي سيق له الكلام.

يَهْنِئكَ انْ قُبلَتْ وَسائُلكَ التي ... هِيَ لِلمُقيم إلى النعيمِ وسَائِلُ

وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً ... وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها ... للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ ... عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

يَا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ ... وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ ... وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

أنْتَ الجلَيلُ مِن الجَزاء نَصِيبُه ... ونَوافِلُ الذِكّرْ الحَكيمِ جَلائِلُ

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ ... وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرِّشَاءُ الوَاصِلُ ... وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها ... للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

عمم الشاعر حكم كل من ناجي ربه وكثر صيامه وقرأ القرآن الكريم وعمل الصالحات بالبشرى بالجنان

(يَا حاذق القرآن) منادى، بأداة نداء للبعيد؛ للفت انتباه المخاطب، ولفت نظره إلى أهميته وفضله، حيث إن النداء له لا لغيره إشارة إلى رفعته واهتماماً به، فالنداء وما فيه من تنبيه المخاطب للإصغاء، وما يتضمنه من الالتفات وقصد المنادي لا غيره، وأيضاً تأثيره في المتلقي يعد من أساليب التناسب " بفردوس الجنان "

ترى السبك المعجمي في المصاحبة اللغوية من خلال التلازم بين لفظي " فردوس " والجنان " فلا تذكر الفردوس إلا ويذكر معها الجنان أو الجنة " جنة

الفردوس " وبذلك تماسكت أجزاء الفقرة وأسهمت في سبك النص. فالتناسب حصل باقتران الألفاظ في المصاحبة اللغوية.

"فإنها " الفاء وسيلة من وسائل دعم التماسك النصي فالسياق الذي تقدم هو ما استدعى حرف " الفاء " وهذا من التناسب المعنوي. ثم وظف وسائل التوكيد في قوله :"فإنها للناسكين مساكن ومنازل " ومنها " إن واسمية الجملة التي تؤكد وقوع الفعل ،. بالإضافة إلى إيثاره للجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام ،وذلك لتثبيت الأفكار في أذهان المخاطبين للدلالة على عظم الأجر والجزاء ،فتحقق التناسب والملاءمة بين التركيب والسياق.

قدم " الجار والمجرور " للناسكين" للأهمية ، ومراعاة الفاصلة ، لتخصيص المساكن والمنازل للناسكين دون غيرهم لا تتعداهم إلى سواهم. فوافق كل لفظ بصيغته موضعه الأنسب به وبهذا حصل التناسب .

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

جاء النفي بحرف " لا" دون "لم "أو "لن" ؛ لأن "لا" ينفى بها المستقبل والحال، و"لن " لنفي المستقبل ، و "لم " لنفي الماضي ، فحرف النفي " لا" أشمل في النفي ، كما أن النفي ب "لا" فيه طول معنى النفي ، فلا يأمن التبعات إلا هائب على طول العصور والأزمان ، واعتمد البيت على أسلوب القصر للتوكيد، و لترسيخ المعنى وتقريره وتقويته ، وخص من طرق القصر ، طريق النفي والاستثناء ؛ ليضفي على المعنى قوة وتأكيداً ، فصرح بالنفي من جملة " لا يأمن التبعات "وذلك لتعينه إبعاد أي مفاهيم أخرى تخطر بالبال ؛لأن وجود النفي دون قصر سبب لتعدد مفاهيم واستنتاجات أخرى ثم جاءت جملة " إلا هائب" ؛ لتأكيد مفهوم المقصور بإقصاء التأويلات التي تدور بذهن المتلقي وقبول المقصود دون تأويلات أخرى فنفي عدم أمن التبعات إلا للهائب والقصر باعتبار الطرفين قصر صفة على موصوف أفاد تأكيد المعنى وتقريره ، فمن التناسب اختيار النفي والاستثناء لأجل السياق.

يَا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أَجْرَهُ وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ
قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ
أَنْتَ الجلَيلُ مِن الجَزاء نَصِيبُه ونَوافِلُ الذِكّرْ الحَكيمِ جَلائِلُ
ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ
فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرِّشَاءُ الوَاصِلُ وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ

ينادي الشاعر الماهر بالقرآن القارئ له وهو يعلم أن القرآن شفيع له – بأنه قد بدت عليه علامات الصلاح والفوز بالنجاح والثواب ودخول الجنان ولذلك يدعو له بالهناء وينصحه بأن يظل مواظباً عليه.

" يا حاذق القران " :

نادى بحرف النداء " يا " دون غيره من أدوات النداء لامتداد الصوت بامتداد بحرف النداء ولينبه إلى عظم ما يقع بعدها فينتبه السامع ويلقي سمعه.

وظف الشاعر ضمير الغائب (هو الشفيع) دون أن يظهر مفسره لفظًا لحضور معناه في الحس

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

عرف لفظي " النجاح والصلاح " ؛لتعيين المسند إليه ،فراعي الشاعر استعمال الألفاظ المعرفة ليناسب السياق المعنى ودل على دقته في اختيار الألفاظ تعريفاً وتنكيراً فاللفظان (النجاح – الصلاح) متناسبان من الناحية الصوتية تحقيقاً لانسجام الكلام ، كما نكرت لفظتي " بشائر " و "دلائل "دلالة على عظم مضمونهما ومحتواهما وهو ما يزيد من التشويق إلى معرفتهما والوقوف عليهما ،فإيثار التنكير دون التعريف له دلالة خاصة من حيث ملاءمته للسياق والمعنى. فمن التناسب اختيار التنكير لأجل السياق.

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

عطف جملة " وجنى الجنان لديك نام كامل " على ما قبلها للتوسط بين الكمالين لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظاً ومعنى ، فالوصل رابط بين الجمل عمل على ترادف الجمل ، وعلى ترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة.

فَاهْنَأْ بِهِ فَهْوَ الرِّشَاءُ الوَاصِلُ وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ

جاءت الفاء في فاهنأ للمسارعة بحصول الثواب دون مهلة ، ولتحقيق الترابط والتماسك النصي ولتقوية أواصر التركيب التي جعلت مجموعة الأبيات السابقة كأنها جملة واحدة وهي تفيد الترتيب والتعقيب.

فالفاء أداة ربط استنتاجية تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير وترى أسلوب " الأمر " " اهنأ " حقق الربط المعنوي بينه وبين البيت السابق وغرضه الامتنان .

" به " : الضمير في به يعود على " القرآن الكريم " والضمير عمل على الربط بين أجزاء النص وتماسكه ربطاً محكماً.

" واركن له فهو العتاد الحاصل " يكون التناسب لفظياً استعمال الواو للإشراك بين الجملتين فجاء التناسب من استعمال الحرف في موضعه.

استخدم أسلوب الأمر " اركن " ليلفت الانتباه لأهمية ما سيلقي بعده من أن القرآن الكريم هو العتاد فوافق كل لفظ بصيغته موضعه الأنسب به.

المبحث الثاني

التناسب البياني

دُنَياك لِلأُخرَى سَبِيلٌ سابِلُ فاعْمَلْ لَهَا إنَّ المُوَفَّقَ عَامِلُ

يقول الشاعر : إن الدنيا طريق للآخرة فعلى الإنسان أن يتزود منها بالخير، والعمل الصالح ما استطاع ، وهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى لعبده.

اعتمد الشاعر على التشبيه في قوله : " دنياك للأخرى سبيل سابل " : تشبيه مؤكد بحذف الأداة مجمل بحذف الوجه ، حيث صور الدنيا بالطريق الذي يسلكه الإنسان رغبة للوصول إلى هدفه ، والتعبير تصوير صادق لما يجري في التخيل ، فحيوية التصوير جعلت المتلقي يخيل إليه أن الدنيا سبيل سالك يصل منه للآخرة ، فدفع الشاعر المتلقي للتأمل والتفكير بين الدنيا والطريق ؛ليربط الأسباب بمسباتها؛ لذا وجب على المتلقي أن يغترف من دنياه ل آخرته ، فالتشبيه تقريب الصورة إلى ذهن المخاطب ،و له ضوء تأثير بالغ على المتلقي لتوضيح المعنى ، فحققت الصورة التشبيهية الغاية الإيضاحية فترى الصورة جمعت في إطارها سمو المعنى وبراعة التصوير؛ ليتمكن المعنى في نفس المتلقي .

آثر الشاعر لفظ السبيل في تشبيه الدنيا بالسبيل لأن السبيل هو " الطريق الذي فيه سهولة " [1]

لأن الطريق غالباً يقع في الشر ، " الطريق لا يقتضي السهولة ، والسبيل اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لايقع عليه الطريق نقول سبيل الله وطريق الله ،

---

[1]() مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة سبل – تحقيق صفوان عدنان داوودي– دار القلم – دمشق – الدار الشامية – بيروت ط١ – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به ، ويراد به سبيل ما يقصده فيضاف إلى القاصد ويراد به القصد " [1]

فالتناسب البياني هيأ النفس لقبول المعنى من خلال إبراز دقائق الصورة .

وَاحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ

واعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا هي أيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ

يظل الشاعر ناصحاً بأن يعد الأعمال الصالحة ؛لتكون له زاداً يعينه للوصول لهدفه ؛لأن الحياة ما هي إلا أيام ومراحل

استعار لفظ " زاداً " للأعمال الصالحة استعارة تصريحية أصلية فكلمة " زاداً " كلمة دقيقة صورت لنا الأعمال الصالحة في صورة محسوسة وضحت المعنى وقررته في نفس السامع. فكل لفظ أخذ موضعه المناسب للتعبير عن المراد مما أظهر التناسب الدقيق والانسجام التام بين الكلام وسياقه.

فاستطاع الشاعر أن يبني كلامه على القوة والملاءمة عن طريق الاقتباس في قوله تعالى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى "(سورة البقرة آية ١٩٧) ولهذا صار كلامه قوياً بليغاً.

عطف هذا البيت على ما قبله بالواو ، لما بينهما من التوسط بين الكمالين حيث اتفقتا الجملتان في الإنشائية لفظاً ومعنى فناسب كل جملة موضعها

إنما هي أيام لعمرك " فجاء التعريف ؛ ليحقق التناسب بين التركيب والسياق ، والجملة أسلوب قصر وطريقة و " إنما " وسيلة من وسائل الترابط النصي التي حققت إلى جانب التماسك النصي القصر ، وطريق القصر " إنما " قصر الحياة الدنيا على كونها أيام وهذا القصر باعتبار الطرفين قصر موصوف

[1] ()ص ٢٩٨ الفروق اللغوية للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري أحد أعلام القرن الرابع الهجري حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوريع القاهرة

على صفة وهو قصر إضافي ، وترى البلاغة في استخدام طريق القصر " إنما " لتوضيح المعنى المراد ولتأكيد الإثبات بان الدنيا ايام للعمر

إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما أَوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ

استخدم الشاعر وسيلة أخرى من وسائل النصح والإرشاد

استعارة " الأمل الكذوب " : للدنيا استعارة تصريحية أصلية ؛ليشير إلى حقارتها ، وقد تكون الاستعارة مكنية ، حيث شبه الأمل بإنسان كاذب ، حذف المشبه به ، ورمزإليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي إسناد الكذوب إلى الأمل استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية .

آثر صيغة المبالغة "الكذوب " في دلالة الاستعارة ؛ لأن الصيغة تحمل تكرار الكذب ، وذلك زيادة في خداع وتضليل الدنيا لصاحبها .

أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ

ينصح الشاعر مخاطبيه بأن ينتبهوا لأيام العمر بالأعمال الصالحة ؛لأن الفؤاد الذي أصيب بحب الدنيا غافل عن مصيره.

في قوله له " اعر التفافاً نحوهن " أي الأيام صور الأيام بشيء محسوس يلتفت إليه على سبيل الاستعارة المكنية التي وضحت المعنى عند المتلقي بأن يعمر أيامه بالأعمال الصالحة ؛لأن القلب غافل ومتعلق بالدنيا.

واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أَوْ آجِلُ

يواصل الشاعر نصحه للمتلقي في التوبة في شبابه قبل شيبه ؛لأن المشيب آت لا محالة ، فشبه" المشيب "بإنسان ، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات "اسبق " للمشيب استعارة تخييليه وهي قرينة المكنية.

مَنْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا الخَؤُونِ حَبائِل
منْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِه في لجَّةٍ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ
بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاه	وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ
تُلْهِيهِ عَنْ عَدْنٍ وَعن أنْهارِها	بَعْدَ الأَشُدِّ خَمائلٌ وجداوِلُ
ويَشوقُهُ كَهْلاً إلى عَهْدِ الصِّبا	بَرْقٌ لَمُعٌ أوْ حَمَامٌ هادِلُ
للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى	فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ
مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوكِّلٌ	وكَفاهُ أنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ
مَنْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه	مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا الخَؤُونِ حَبائِل

اعتمدت الصورة على التوضيح والتفصيل فصور إغراء الدنيا لإنسان غافل بصائد ينصب الشباك للفريسة ، وفي قوله " زهرة الدنيا " تشبيه مؤكد مجمل شبه الدنيا بزهرة من إضافة المشبه به للمشبه ساعدت الصورة التشبيهية على كشف المعنى وتوضيحه

وفي وصفه الدنيا بالخؤون : استعارة مكنية حيث صور الدنيا بإنسان كثير الخيانة ، وإثبات الخؤون للدنيا استعارة تخيلية وهي قرينة المكنية ، والتصوير وضح لنا خداع الدنيا للإنسان في صورة محسوسة مشاهدة ، فالاستعارة المكنية وضحت لنا " المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ".[1] فهيأ التناسب البياني في البيت النفس لقبول المعنى.

ثم يواصل الشاعر استنجاده بمن يخلصه من خداع الدنيا قبل الممات بقوله : منْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِه في لجُةٍ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ

صور حال من انغمس في بهجة الدنيا وزينتها ولم يتب قبل المشيب فهلك بحال من أخذته لجة البحر وبعد عن الساحل فغرق فالاستعارة التصريحية ساعدت على إيضاح المعنى.

بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ	وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

[1] ()أسرار البلاغة صـ ٤٣

صعب على الإنسان أن يعيش طول عمره دون أن يعمل حساب لموته، فالموت آت عاجلاً أو آجلاً ، وقد صور الشاعر الموت بـ " ليث باسل " تشبيه مؤكد مجمل : ليوضح لنا حقيقة وقوع الموت بأنه أمر آت لا محالة

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاه وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ

يوضح الشاعر ثواب من جاهد في العبادة بالفوز وعقاب من تكاسل بالخسران ، فبدأ

للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ

يقول الشاعر : إن من فاز بسبب جهاده في العبادة فهو مجبول على رفض المعصية وإقلاعه عنها بانشغاله بعبادته ، فشبه" الهوى "بشيء محسوس يرفض، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات "رفض" للهوى استعارة تخييليه وهي قرينة المكنية.

قد فاز بالعلياء ذكر سائل بسرائر الحسنى ودمع سائل

يذكر الشاعر سبب الفوز بالجنة الذكر والخشوع، فشبه" العلياء "بشيء محسوس ، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات "فاز " للعلياء استعارة تخييليه وهي قرينة المكنية.

وامتاز بالتقوى قلب واجب من خوف خالقه وجسم ناحل

يواصل الشاعر وصف من خشع في العبادة وفاز بأنه يوصف بالتقوى والخوف من الله سبحانه وتعالى حتى ظهر أثر الخوف عليه من نحول جسمه.

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ وعَليْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزَينُ الثَّاكِلُ

يَهْنِئكَ انْ قُبلَتْ وَسائُلكَ التي هِيَ لِلمُقيم إلى النعيمِ وسَائِلُ

وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ وعَليْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ

يبشر الشاعر المناجي ربه الكثير الصيام ، القارئ لكتاب الله والعامل للصالحات الذي علم حقيقة الدنيا بأنها ظل زائل بجنة الفردوس فهي له مسكن ومنزل.

" غلل الصيام " :

شبه صيام الأيام تلو الأخرى بالغلل التي تلبس واحدة تلو الأخرى ، والوجه التتابع في كل ، وترى الصورة التشبيهية ساعدت على كشف المعنى وتوضيحه وساعدت على التقريب بين الصور فالتناسب بين اللفظ والصورة التي يرسمها أوضح التناسب والتناسق في التصوير ،كما هيأ التناسب البياني النفس لقبول المعنى.

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزَينُ الثَّاكِلُ

يستكمل الشاعر صفات المناجي ربه بأنه كان تالياً لكتاب الله فرحاً بتلاوته ومن قبل كان مهموماً حزيناً

وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

" وإن اعتمدت الصالحات مزوداً وعلمت أن العيش ظل زائر "

شبه العيش " الحياة بـ ظل زائل " بجامع سرعة الزوال في كل ، ترى الصورة التشبيهية حققت الإيضاح والبيان في معرفة حقيقة أمر الدنيا. فالتناسب بين اللفظ وإيقاعه والصورة التي يرسمها أوضحت التناسب والتناسق في التصوير

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

يَا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

أنْتَ الجلَيلُ مِن الجَزاء نَصِيبُه ونَوافِلُ الذِكْرِ الحَكيمِ جَلائِلُ

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرّشَاءُ الوَاصِلُ وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

عمم الشاعر حكم كل من ناجي ربه وكثر صيامه وقرأ القرآن الكريم وعمل الصالحات بالبشرى بالجنان ،

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

يا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

أنْتَ الجلَيلُ مِن الجَزاء نَصِيبُه ونَوافِلُ الذِكّرْ الحَكيمِ جَلائِلُ

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرّشَاءُ الوَاصِلُ وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ

يا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

"قابلتك بشائر" شخص الشاعر البشائر من خلال الاستعارة المكنية ،وهذا التصوير أرقى درجات التناسق والتناسب.

ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ

شبه الثواب بثوب بجامع العموم والشمول في كل ،فالثواب يعمه ويشمله كما يعم الثوب صاحبه واشترك وصف الثواب بثوب مع جرس الكلمات وموسيقى العبارات في إبراز الصورة .

المبحث الثالث

التناسب البديعي

دُنَياك لِلأُخرَى سَبِيلٌ سابِلُ فاعْمَلْ لَهَا إنَّ المُوَفَّقَ عَامِلُ
وَاحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ
وأَعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا أيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ
إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما أوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ
أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ
واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أوْ آجِلُ

استهل الشاعر قصيدته بالنصح و الإرشاد فالدنيا طريق للآخرة فعلى الإنسان أن يتزود منها بالخير، والعمل الصالح ما استطاع ، وهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى لعبده.

وهذا ملائم لموضوع الزهد ،فالتناسب النصي بين المطلع والغرض مناسب للمقام ؛لذا حسن المطلع الذي دل على الغرض من القصيدة بألفاظ تجذب الانتباه وتوقظ الأذهان لا تنافر فيها ولا غرابة ولا مخالفة قياس فلا يوجد عيب من العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة ولا الكلام فالألفاظ فصيحة ، ومفهوم الفصاحة بنى على التناسب بين أصوات اللفظة الواحدة ، فالحكم بفصاحة اللفظة حكم لها بالتناسب بين حروفها وأصواتها حتى سلمت من ثقل السمع والاستكراه وبمطابقة الكلام لمقتضى الحال صار البيت بليغاً ،فاقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد حقق التناسب.

يقول الخطيب القزويني " وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب [1]

[1] الإيضاح جـ١ /صـ٢٧

لأنه أول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب ، وفيه حسن ابتداء وقد أشاد بهذا اللون أبو هلال العسكري : إذا كان الابتداء بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام [١]

ويقول ابن رشيق القيرواني " وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليجعله حلواً سهلاً وفخماً جزلاً [٢]

وقال عن السيوطي : " هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله وأول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب [٣]

ولا شك أن هذا البيت في بداية القصيدة قد دل على عناية الشاعر بحسن الصياغة.

في البيت الأول مطلع القصيدة تصريع ،والشاعر بدأ بالتصريع على عادة الشعراء القدامى وهو توافق الحرف الأخير من المصراع الأول " سابل " والحرف الأخير من هذا البيت " عامل " ومجيء التصريع في بداية القصيدة يدل على عناية الشاعر بالمطلع ، لأنه أول ما يصافح الآذان ، ومن ثم له أثراً حسن في تشويق النفس وتحريكها لسماع الشاعر، فالتصريع وما يحدثه من تنغيم موسيقى خلاب تطرب له الآذن ويتحرك له الوجدان وسيلة إيقاعية بارزة في مفتتح القصيدة

يبرز بعض الكلمات ويلفت الانتباه ويحقق نوعاً من التوازن الصوتي ليثرى الإيقاع والدلالة في وقت واحد من خلال الربط بين نهاية كل شطر.

---

[١] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر صـ ٤٣٧

[٢] العمدة ابن رشيق القيرواني جـ١/صـ٢١٧/٢١٨ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م.

[٣] الإتقان في علوم القرآن جـ٢/صـ ١٠٩ – جلال الدين السيوطي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثالثة.

وقد جاء مفتتح المصراع الأول من البيت دالاً على عرض القصيدة وجاء المصراع الثاني متناسباً تمام التناسب مع المصراع الأول فالدنيا سبيل للآخرة ولا بد من الأعمال الصالحة التي هي من توفيق الله – عز وجل – للعبد فجاء التناسب الصوتي ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى.

جاء جناس الاشتقاق في قوله "سبيل –سابل" ليؤكد تصوير الدنيا للآخرة بالسبيل السابل ، حيث يجانس بين الأمرين ويجعلهما شيئاً واحداً ممتداً، وكأن التجانس بين اللفظين يوحي بالتقارب الشديد بينهما ، والجناس بما فيه من اخبار عن السبيل ب سابل وهما من مادة واحدة له دوره في توضيح التصوير، كما نلمح الملاءمة القوية بين دلالة الجناس ودلالة المعنى فجعلت الأمر أكثر وضوحاً للمتلقي ، فربط بين المستويين الصوتي والدلالي، فالتناسب الصوتي حصل باقتران الألفاظ المتماثلة مما أضفى ثراء إيقاعياً واضحاً فالتناسب بين اللفظ وإيقاعه والصورة التي يرسمها أوضحت التناسب والتناسق في التصوير.

وفي "اعمل – عامل "رد العجز على الصدر" وهذا المحسن البديعي قائم على التكرار، والتكرار ضرورة إلى سبك الكلام فإنه ينطوي حتماً على موسيقى لذا فله دلالة لفظية ،فترى التناسب من الإيقاع الموسيقي الناتج من نظم الألفاظ وحسن اختيارها في سياق الجملة .

وَاحْرِصْ عَلى نَيْلِ السَّعَادَةِ جاهِداً بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَنِعْمَ النَّائِلُ

المحسن البديعي رد العجز على الصدر في قوله " نيل – النائل " : له دور كبير في تشكيل الصورة لما يحمله من موسيقى لفظية من خلال التكرار، واكسابه نغمة مستحسنة ؛لتقوية الجرس ، فاللفظان (نيل – نائل) متفقان في المعنى وفي هذا تأكيد للمعاني وتقريرها ،فزاد المعنى وضوحاً ورسوخاً لأن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع ويكسب البيت بهاءً ورونقاً.

يقول أبو هلال العسكري : " إن لرد الإعجاز على الصدور موقعاً جليلاً في البلاغة وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً " . [1]

كما زين الشاعر كلامه بمراعاة النظير في " البر – التقوى " –مراعاة النظير هي "أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه بالتضاد"[2]– فكان لمراعاة النظير الفضل في تحسين الكلام وائتلاف الألفاظ وسلاسة وسهولة الأسلوب ، وهذا يدل دلالة واضحة على عناية الشاعر بترتيب معانيه في النفس، فجاء أسلوبه محكماً كل لفظ بجانب الآخر كحبات اللؤلؤ المنظومة في سلك واحد بتنسيق جميل، فظهر التناسب الايقاعي من اختيار ألفاظ في صيغ لها دلالات موسيقية .

يظل الشاعر ناصحاً بأن يعد الأعمال الصالحة ؛لتكون له زاداً يعينه للوصول لهدفه ؛لأن الحياة ما هي إلا أيام ومراحل فيقول :

واعِدَّ زَاداً للرَّحِيلِ فَإنَّمَا أيَّامُ عُمْرِكَ لَوْ عَقَلْتَ مَرَاحِلُ

إيَّاكَ والأَمَلَ الكَذُوبَ فَرُبَّما أوْدَي بِمَطْرُورِ الغُرورِ الآمِلُ

أعِرِ التِفاتاً نَحْوَهُنَّ مَرَاشِداً فَفُؤَادك المَفْؤُود عَنْها غافِلُ

فينصح الشاعر مخاطبيه بأن ينتبهوا لأيام العمر بالأعمال الصالحة ؛لأن الفؤاد الذي أصيب بحب الدنيا غافل عن مصيره.

أفاد جناس المشابهة في قولك " فؤادك – المفؤود " شدة تعلق الفؤاد بحب الدنيا فغفل عن مصيره ، فظهر التناسب الصوتي من خلال الجناس الذي حقق وحدة موسيقية ونغماً بفضل تشابه الحروف بين اللفظتين ، فالجناس معبر عن مقصود الشاعر أتم تعبير في توضيح حالة من أصيب بحب الدنيا ،لذا تشعر أن الشاعر قد أعاد على مسامعك اللفظة

---

[1] الصناعتين صـ ٢٠٠.

[2] بغية الإيضاح ١٣/٤.

" كأنه يخدعك عن الفائدة وقد اعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك شيء وقد أحسن الزيادة و وفاها " . [1] فالجناس من أبرز مظاهر التناسب الصوتي الذي يكون ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى، فالجناس ليس مجرد حلية لفظية عمل على موسيقى داخلية تطرب لها الآذان ، إنما عمل على تمكين المعنى في ذهن المتلقي بفضل ذكر أن الفؤاد المفؤود غافل عن مصيره في الآخرة ، وبهذا أصبح اللفظ المجانس " المفؤود" لا غنى عنه في الإبانة عن المعنى .

واسْبِقْ مَشِيبَك بِالمَتَابِ حِزَامَةً فَلَهُ حُلُولٌ عَاجِلٌ أوْ آجِلُ

يواصل الشاعر نصحه للمتلقي في التوبة في شبابه قبل شيبه ؛لأن المشيب آت لا محالة ترى المحسن البديعي الطباق " عاجل – آجل " يعبر عن سرعة انقضاء الوقت فالأولى المبادرة بالتوبة قبل المشيب وقد أضاف الطباق أبعاداً دلالية أبرزت المعنى ووضحته من خلال التضاد الذي هو مظهر من مظاهر التناسب.

مَنْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا الخَؤُونِ حَبائِل
منْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِه في لجُةٍّ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ
بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ
يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاه وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ
تُلْهِيهِ عَنْ عَدْنٍ وَعن أنْهارِها بَعْدَ الأَشُدِّ خَمائلٌ وجداوِلُ
ويَشوقُهُ كَهْلاً إلى عَهْدِ الصِّبا بَرْقٌ لَمَعٌ أوْ حَمَامٌ هادِلُ
للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ
مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوكِّلٌ وكَفاهُ أنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ
مَنْ بِالنَّجاةِ لِذَاهِلٍ نُصِبَتْ لَه مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا الخَؤُونِ حَبائِل

[1] أسرار البلاغة صـ ٨

، وفي قوله " زهرة الدنيا " اقتباس من قوله تعالى في سورة طه آية ١٣١: "ولا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ".

منْ بالخَلاصِ لخَابِطٍ مِنْ جَهْلِه في لجُةٍّ رَحُبَت وشَطَّ الساحِلُ

تكرار لفظ "من" في قوله :" من زهرة الدنيا " وفي قوله: " من جهله " وهذا التكرار لم يكن عفوياً وإنما وراءه دلالات خفية أراد الشاعر أن يوضحها من خلال التكرار وهي صعوبة النجاة والخلاص لمن انغمس في حب الدنيا وتأثر بها ، ولا يخفي ما لهذا التكرار من مساهمة في الجانب الإيقاعي ؛ لأنه يقوم بتعميق الجانب الدلالي للفظ المكرر وهو من عناصر تماسك النص من خلال إعادة الإيقاع فالتكرار من أهم مظاهر التناسب الصوتي وله أثره الجمالي ؛لأنه يكون ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى.

وترى مراعاة النظير في قوله :" لجة – ساحل " لها أثر في تحسين المعنى المراد من سلاسة وسهولة فالألفاظ المتناسبة أحدثت موسيقى وإصغاء مناسباً للمعنى الذي سيقت له

بَسْلٌ عَلَى المَرْءِ امْتدَادُ حياتِهِ وإزَاءهُ لِلْمَوْتِ لَيْثٌ باسِلُ

صعب على الإنسان أن يعيش طول عمره دون أن يعمل حساب لموته، فالموت آت عاجلاً أو آجلاً

ترى المحسن البديعي " رد العجز على الصدر في قوله " بسل – باسل " قد أضفى لوناً من الإيقاع الموسيقي من خلال تكرار اللفظين ، فنية التصدير قامت بالتوكيد من خلال الربط بين طرفيها وذلك من خلال رد المعنى من آخر البيت إلى أوله لإحكام العلاقة من البداية والنهاية وهذا ما يظهر ويوضح الإيقاع الصوتي والموسيقي الذي لا يخفى أثره فآخر البيت مناسب لأوله مناسبة معنوية.

ترى التقابل بين الشطرين في نتيجة من جاهد وزهد ففاز وبين من لم يجاهد ولم يزهد فخسر ، فعملية التقابل أحد عناصر الإيقاع المعنوي ووسيلة

تعبيرية فعالة بإمكاناتها الفنية ودلالتها النفسية فالمقابلة حققت التناسب والملاءمة بين التركيب والسياق .

يَا فَوْزَ مَنْ هُوَ في العِبادةِ جاهد وخَسارَ مَن هو لِلزَّهَادَةِ جاهِلُ

يوضح الشاعر ثواب من جاهد في العبادة بالفوز وعقاب من تكاسل بالخسران عبر باسم الفاعل " جاهد " للدلالة على المبالغة والاستمرار ، فمن جاهد واستمر في المجاهدة نال الفوز ومن بالغ في جهله وغيه نال الخسران.

كما ترى في قوله " جاهد – جاهل " جناس مضارع فاللفظان متناسبان من الناحية الصوتية تحقيقاً لانسجام الكلام فجيء باللفظين مراعاة للتناسب الصوتي ، فاللفظتان متشابهان في الجيم والألف واللام والهاء مختلفتان في حرفي الدال واللام وقد اتحدا في المخرج فكلاهما من طرف اللسان ،ولا شك أن هذا التقارب في الحروف فضلاً عن الإتقان في الوزن عمل على جذب انتباه المخاطب من خلال الموسيقى التي تطرب لها الآذان.

فالجناس له دوره في الحث على المجاهدة في العبادة لنيل الثواب والفوز والبعد عن الجهل والغفلة حتى لا يعاقب بالخسران وبذلك أصبح الجناس أصلاً في إبانة المعاني وساعد على فهم المعنى المراد ، فاقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد حقق التناسب، فالتناسب يبحث في العلاقات المختلفة بين أجزاء النص سواء أكانت ظاهرة أو خفيه.

للهِ مَجْبولٌ عَلَى رَفْضِ الهَوَى فَلَهُ مِنَ الإقْلاعِ شُغْلٌ شَاغِلُ

يقول الشاعر : إن من فاز بسبب جهاده في العبادة فهو مجبول على رفض المعصية وإقلاعه عنها بانشغاله بعبادته .

ترى التجاوب الموسيقى طربت له الأسماع في قوله : " شغل شاغل "

فالتجانس الشديد بين اللفظين أبرز مظاهر التناسب الصوتي أدى إلى الاقتران بينهما ،فلا يوجد شغل إلا ويكون شاغل فأصبح الجناس أداة أسلوبية ساعدت على فهم المعنى المراد وعلى ظهور أثره الجمالي .

مُتَوَصِّلٌ بِخُلُوصِهِ مُتَوَكِّلٌ وكَفاهُ أَنَّ اللهَ كَافٍ كَافِلُ

يستكمل الشاعر وصفه عن من فاز بجهاده العبادة وذلك بإخلاصه لله وتوكله عليه ويكفيه أن الله سبحانه وتعالى يكفيه كل شر ،وهو كافله.

" متوصل – متوكل " : فالجناس في اللفظتين جناس لاحق مختلفان في حرفي الصاد والكاف وقد بعد في المخرج ، فالتجانس الشديد بين اللفظين أبرز مظاهر التناسب الصوتي، كما نجد أن المتجانسين أثر في تنشيط الفكر وتشويق النفس وجذب انتباه السامع للوقوف على المراد من اللفظتين المتشابهتين ، فعمل الجناس على اصغاء السامع من خلال الوقع الموسيقى .

كرر الصوت المجهور " الميم " والتكرار هو: "التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[١]، وهو أحد صوتي الغنة وهو أكثر نغماً وإيقاعاً ، فكرر الشاعر صوت الميم مرققاً موائماً مع ما يتضمنه الإيقاع من معاني الهبوط ليلائم إيقاع النفس.

ولا شك أن الجناس الناقص في قوله : " كاف وكافل " :

له دور في اكتمال الإيقاع وتحقيق الانسجام بين الألفاظ ، كما أنه يخدم المعنى لما فيه من " حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة " [٢]

فجاء الجناس ليحقق وحدة موسيقية عن طريق اختلاف المعنى في كل منهما.

وترى تكرار حرف الكاف في البيت بما فيه من صفة الشدة حققت موسيقى في الأداء خدمت الظاهرة الصوتية في التأكيد على توكله الله –عز وجل – الذي قد كفاه ،فالجناس ليس مجرد حلية لفظية بل ساعد على تمكين المعنى في

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها الأحمدي بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن المتوفي ٣٩٥ هـ ، ١٥٨/١

[٢] أسرار البلاغة صـ (١٧) .

الأذهان، فالتناسب من الإيقاع الموسيقي الناتج من نظم الألفاظ وحسن اختيارها في سياق الجملة .

ويكرر ابن الآبار التصريع في القصيدة لا ل يهيأ ذهن المتلقي التنقل من موضوع إلى موضوع آخر إنما ليواصل الحديث عن المناجي ربه ويذكر صفاته التي جعلته فاز بالعلياء

وتكرار التصريع في القصيدة الواحدة دليل على قوة طباع الشاعر وغزارة مادته وهو من " اقتدار الشاعر وسعة بحره "[1] وجاء التصريع مطبوعاً في غير تكلف و قائماً على التكرار والتكرار ضرورة إلى سبك الكلام فإنه ينطوي حتماً على موسيقى فله دلالة لفظية.

فحلاوة الجرس وعذوبة الإيقاع لها أثر كبير في نفس المتلقي وتحريك مشاعره وقبوله للمعنى.

قد فاز بالعلياء ذكر سائل بسرائر الحسنى ودمع سائل

يذكر الشاعر سبب الفوز بالجنة الذكر والخشوع

وقد تكرر صوت الراء في " سرائر " للفت انتباه المتلقي؛ ليسلك هذا الأسلوب وهو ما وضح جرساً موسيقياً أغنى الإيقاع الداخلي ،وعمل على تصوير المعنى المراد من خلال أن جعل للحسنى سرائر كانت سبب في فوزه بالعلياء ، وعمل الجناس المضارع بين " سائل وسائر " على الربط بين المستويين الصوتي والدلالي وهو ما أضفى ثراء إيقاعياً. فالجناس أبرز مظاهر التناسب الصوتي ؛لأنه يكون ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى.

فجاءت موسيقى الألفاظ سريعة ؛ لتوضح لنا كثرة الذكر مع سيلان الدفع خضوعاً وخشوعاً لله – فالجملتان قصيرتان تميزت بسرعة الإلقاء وتتابع المعاني..

[1] نقد الشعر ، قدامه بن جعفر صـ ٥١ ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي – طبعة دار عطوة للطباعة – القاهر – ط١ ، ١٩٧٩ م.

عمل تكرار حرف السين في البيت " سائر – سرائر – الحسنى – سائل " على ظهور الإيقاع والنغم فكان له دور بالغ الأهمية على المستوى الإيقاعي الداخلي وأدى دوراً بارزاً في تصوير المعنى المراد.

كما أن صوت الراء في " سائر و سرائر " دل على التكرار فصبغة التكرار تكون أعلى درجاتها عند سكون الراء ليدل على تكرار الأمر في الذكر والسرائر ، وهذه الحركة تناسب السعي في العمل الصالح وكثرة الذكر وكثرة الأعمال الصالحة ، كما أضفت على الإيقاع قوة من وراء الجرس الموسيقي فالتكرار ضرورة إلى سبك الكلام فإنه ينطوي حتماً على موسيقى فله دلالة لفظية. وترى فيه التناسب الصوتي من خلال الانسجام بين الأصوات مع بعضها البعض فتشابه الكلمات في الوزن والموسيقى والإيقاع أحدث نوعاً من الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي،

هذا الإيقاع ناشئ عن التناسب للأصوات عند تأليفها والتناسب الصوتي يكون ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى.

وامتاز بالتقوى قلب واجب من خوف خالقه وجسم ناحل

يواصل الشاعر وصف من خشع في العبادة وفاز بأنه يوصف بالتقوى والخوف من الله سبحانه وتعالى حتى ظهر أثر الخوف عليه من نحول جسمه.

ترى مراعاة النظير بين "قلب –جسم "جعلت الكلام محكماً التأليف ، فترى دقة الشاعر في اختيار الألفاظ المتناسقة التي ساعدت على توضيح المعنى مما جعل الكلام عذباً ،فالألفاظ المتناسبة أحدثت موسيقى وإصغاء ، فجاء باللفظ مناسباً للمعنى الذي سيق له ، فكان لحلاوة الجرس ،وعذوبة الإيقاع لها أثر كبير في نفس المتلقي وتحريك مشاعره وقبوله لمعنى الانسجام والسهولة.

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ وعَليْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ
يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزِينُ الثَّاكِلُ
يَهْنِئكَ انْ قُبلَتْ وَسائُلكَ التي هِيَ لِلمُقيم إلى النعيمِ وسَائِلُ
وَأن اعْتَمَدْتَ الصالِحاتِ مزَاوِداً وعَلِمْتَ أن العَيْشَ ظِلٌّ زائِلُ

قُلْ للمُناجِي في الدَّياجِي رَبَّهُ وعَليْهِ من غُلَلِ الصِّيام غَلائِلُ

يبشر الشاعر المناجي ربه الكثير الصيام ، القارئ لكتاب الله والعامل للصالحات الذي علم حقيقة الدنيا بأنها ظل زائل بجنة الفردوس فهي له مسكن ومنزل.

وأفاد جناس المشابهة بين " غلل ، غلائل " كثرة الصيام فهو جناس معبر عن مراد الشاعر جاء مطبوعاً غير متكلف ، فالجناس من أسباب ترابط وتلاحم الأسلوب بالإضافة لموسيقى الألفاظ التناسب الصوتي من خلال الانسجام بين الأصوات مع بعضها البعض فتشابه الكلمات في الوزن والموسيقى والإيقاع أحدث نوعاً من الانسجام الصوتي والتألف الموسيقي هذا الإيقاع ناشئ عن التناسب للأصوات عند تأليفها..

.فالجناس جمع بين الوفاء بالمعنى مع التناسب الإيقاعي.

يَتْلُو كِتَابَ اللهِ في أوْرَادِهِ فَرَحاً بهِ وهوَ الحزِينُ الثَّاكِلُ

يستكمل الشاعر صفات المناجي ربه بأنه كان تالياً لكتاب الله فرحاً بتلاوته ومن قبل كان مهموماً حزيناً طابق الشاعر بين " فرحاً " و " الحزين " ؛ليؤكد المعنى ويقرره عن طريق المقارنة بين حال المناجي ربه وهو تالياً كتابه فرحاً وحاله من قبل من الهم والحزن ، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيأ لذكر الضد الآخر فإذا ورد تأكد وثبت ، والتأكيد جاء من ذكر المعنى في ذهن المخاطب أولاً ثم سماعه ثانياً والتوضيح جاء من أن الضد يظهر ويتضح أمام الآخر ، وقد جاء الطباق غير متكلف معبراً عن مراد الشاعر ،وهو من أهم مظاهر التناسب الصوتي وله أثره الجمالي

أبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإنَّها للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

يَا حَاذِقَ القُرْآنِ يَرْجُو أجْرَهُ وهوَ الشَّفيعُ لصَحْبِهِ والمَاحِلُ

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلُ

أَنْتَ الجلَيلُ مِن الجَزاء نَصِيبُه ونَوافِلُ الذِكّرْ الحَكيمِ جَلائِلُ
ثَوْبُ الثَّوابِ عَلَيْك ضافٍ سَابِغُ وَجَنَى الجِنَانِ لَدَيْك نَامٍ كَامِلُ
فَاهْنَأ بِهِ فَهْوَ الرِّشَاءُ الوَاصِلُ وَارْكُنْ لَهُ فَهوَ العِتَادُ الحاَصِلُ
أَبْشِرْ بِفِرْدَوسِ الجِنَانِ فإِنَّها للنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنازِلُ

عمم الشاعر حكم كل من ناجي ربه وكثر صيامه وقرأ القرآن الكريم وعمل الصالحات بالبشرى بالجنان ،

لا يَأمَنُ التَّبِعَاتِ إلا هائِبٌ عَرضاً تَقَدَّمَهُ وَعيدٌ هَائِلُ

وفي قوله "هائب – هائل" ترى الجناس المضارع لا ينحصر في تناسب الأصوات مع بعضها البعض في اللفظ بل إلى مناسبة الاصوات في النفس ، فاللفظة تمكنت في موضعها من حيث ملائمتها للمعنى فتلائم الصوت مع الغرض الذي سيق له الكلام.

قَد قَابَلَتْكَ مِن النَّجاحِ بَشائِرٌ وَبَدَتْ عَلَيْكَ منَ الصَّلاحِ دَلائِلَ

وجيء باللفظين (بشائر – دلائل) للتناسب الصوتي ، ومراعاة للتناسب بين الجمل ، وجاء الشاعر بالمعنى في جمل متناسبة مستوية المقادير مع المناسبة اللفظية فالجمل دلت على تحقق الوقوع ، فاقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد يحقق التناسب.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد – ﷺ– وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ... ؛

فأهم النتائج التي توصلت إليها:

1- شغل التناسب الباحثين باعتباره موضوعا هاما يظهر الارتباط الوثيق بين أجزاء الكلام لتوضيح أثره في المعاني وأصدرت حوله دراسات اقتران الألفاظ بعضها مع بعض في سياق واحد يحقق التناسب ، فالتناسب يبحث في العلاقات المختلفة بين أجزاء النص سواء أكانت ظاهرة أو خفية ، وتنوعت أساليب التناسب للكشف عن المعني المراد ؛ لقصد الفهم والإقناع، فالتناسب من القضايا التي توضح قوة وبلاغة الشاعر .

٢- يظهر التناسب ملاءمة البناء التركيبي للتعبير عن المعاني والكشف عن جمال الأسلوب وبلاغته . فيتجلى أثر السياق في بنية التركيب ووجه التناسب، فبنية التركيب ناسبت السياق تناسباً تاماً عملاً بمفهوم النظم عند الإمام عبد القاهر.

٣- مفهوم الفصاحة بنى على التناسب بين أصوات اللفظة الواحدة ، فالحكم بفصاحة اللفظة حكم لها بالتناسب بين حروفها وأصواتها حتى سلمت من ثقل السمع والاستكراه ،كما راعى الشاعر مقتضى الحال والمقام للمخاطب، ولجأ إلى النصح والإرشاد بقصد الفهم والاستيعاب؛ ليضمن التأثير والإقناع في المتلقي.

٤- استطاع الشاعر أن ينظم ألفاظه وعباراته في دقه وإحكام؛ ليصل إلى هدفه في التذكير والوعظ والتحذير، فظهر التناسب بين حروف الكلمة مما شكل أنغاماً متناسقة متناسبة وهذا من خلال حسن اختيار الكلمة وسبكها وتناسب مخارجها ، فاختيار الكلمة واختيار موقعها ومناسبتها للكلمة الأخرى أعطاها

جرساً خاصاً وايقاعاً مؤثراً كان له أثر في نفس المتلقي فكان أسلوبه موجزاً خالي من العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة، ومن العيوب التي تخل بفصاحة الكلام، كما أنه نوَّع أسلوبه بين الأساليب الخبرية والإنشائية؛ ليكون أعمق أثراً وأكثر دلالة؛ ليصل إلى التأثير والإقناع.

٥- من مظاهر التناسب اختيار زمن الفعل المناسب لنسق الكلام وسياقه. فاختيار الصيغة الزمنية للفعل لمراعاة المعنى المقصود

٦- راعي الشاعر استعمال الألفاظ المعرفة والنكرة ليناسب السياق والمعنى ودل على دقته في اختيار الألفاظ تعريفاً وتنكيرا، فمن التناسب اختيار التعريف والتنكير لأجل السياق ،فاستعمال اللفظ في السياق قائم على التناسب بين اللفظ والتركيب

٧- يبرز التناسب الدقيق في استعمال الحروف بين دلالتها وما يقتضيه السياق ويفضله غرض الكلام.

٨- استخدم أسلوب القصر لتأكيد المعنى وتقريره وخص من طرائقه (إنما)، و " إنما " وسيلة من وسائل الترابط النصي التي حققت إلى جانب التماسك النصي القصر " لتوضيح المعنى المراد ولتأكيد الإثبات بأن الدنيا أيام .

٩- التكرار من أبرز أساليب التناسب في القصيدة ، وكان له دور في تأكيد المعنى وجاء في القصيدة على ثلاث صور:

الصورة الأولى :

١) دلالة الصوت المفرد: كدلالة صوت اللام في الكلمات التي تنتهي بها أبيات القصيدة فدل صوت اللام على الشدة والهول ليعبر عن المعنى المراد.

٢) دلالة صوت القاف في "حاذق – قد – قابلتك " فصوت القاف وما فيه من انفجار وجهر يحدث دوياً عند النطق مما ساهم في توضيح المراد؛ لأن صوت القاف يظهر عليه طابع الشدة، فحدث التناغم بين صوت الحرف وبين المتاعب التي تواجه طالب الآخرة .

دلالة صورت الراء في (" سائر و سرائر ") فصوت حرف الراء دل على التكرار فصيغة التكرار تكون أعلى درجاتها عند سكون الراء ليدل على تكرار الأمر في الذكر والسرائر ، وهذه الحركة تناسب السعي في العمل الصالح وكثرة الذكر وكثرة الأعمال الصالحة ، كما أضفت على الإيقاع قوة من وراء الجرس الموسيقي فالتكرار ضرورة إلى سبك الكلام فإنه ينطوي حتماً على موسيقى فله دلالة لفظية. وترى فيه التناسب الصوتي من خلال الانسجام بين الأصوات مع بعضها البعض فتشابه الكلمات في الوزن والموسيقى والإيقاع أحدث نوعاً من الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي،

٣) هذا الإيقاع ناشئ عن التناسب للأصوات عند تأليفها والتناسب الصوتي يكون ممزوجاً بالإيقاع وبمراعاة المعنى.

الصورة الثانية :

تكرار الفكرة، وهو: التكرار المعنوي، فالقصيدة تكرار لفكرة واحدة، وهي الزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، فرسَّخ الفكرة بالتكرار في عبارات متشددة ، فأبعد الملل عن السامع، فكان للتكرار أثره في ترسيخ المعنى، ولتحقيق غرضه الإقناع والتأثير.

٤) بلاغة تناسب الوصل: عملت على ترتيب الجمل ؛ ليضمن النتيجة المطروحة.

٥) التناسب بين اللفظ وإيقاعه والصورة التي يرسمها الشاعر أوضحت التناسب والتناسق في التصوير .

٦) بلاغة تناسب التشبيه: التقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى، فيدفع بخيال السامع للتفاعل مع القصيدة للإقناع والتأثير.

٧) بلاغة تناسب الاستعارة من حيث إنها صورة مجازية، ، فالاستعارات في القصيدة جمعت بين التزيين والحلية والإقناع والتأثير، وهي استعارات حققت الإقناع والتأثير، فالاستعارة ساعدت في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي.

٨) الاستعارة تبني على المسلمات حتى تقبل النتائج الناتجة عنها، فالاستعارة تهدف إلى الإقناع على توجه المتلقي للوجهة التي يريدها المتكلم لغرض التأثير.

٩) الكناية بمثابة الدليل الذي يلجأ له المخاطب؛ لإثبات معانيه، وإقناعه، وهي تعتمد على ذكاء المتلقي، وسرعة فهمه؛ فبلاغة تناسب الكناية قائمة على الاقتناع والتأثير بجعل المعقول محسوساً والغائب مشاهدا.

١٠) التعبير المجازي عامة والتشبيه خاصة له أثر في ترسيخ المعاني في النفس بصورة أكثر تأثير.

من ألوان التناسب الإيقاع الموسيقي الناتج من نظم الألفاظ وحسن اختيارها وتحريك النفوس من خلال سياق الجملة، فالتناسب الصوتي من خلال الانسجام بين الأصوات مع بعضها البعض فتشابه الكلمات في الوزن والموسيقى والإيقاع أحدث نوعاً من الانسجام الصوتي والتألف الموسيقي، هذا الإيقاع ناشئ عن التناسب للأصوات عند تأليفها.

١١) وظف الشاعر تناسب المحسنات البديعية للتأثير في المتلقي، وإقناعه ، ومن مظاهر التناسب التضاد ليوافق السياق، وجاءت المقابلة لتجعل المتلقي أمام صورتين متضادتين فاتضح الأمر، وأثرت في المتلقي ؛لذا كان للمقابلة دور واضح في التناسب من خلال عقد المقارنات لاستدعاء المعاني للتأثير والإقناع في المتلقي.

١٢) جاءت مراعاة النظير بصورة مطبوعة بعيدة عن التكلف، فظهرت دقة الشاعر في اختيار الألفاظ المتناسقة المتناسبة ؛لإيضاح المعنى ولإقناع المتلقي. تقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى. تقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى.

١٣) ومن مظاهر التناسب الصوتي الذي حصل باقتران الألفاظ المتماثلة " الجناس " .

فالجناس من أهم مظاهر التناسب الصوتي وله أثره الجمالي ، فجاء تناسب الجناس لإحداث إيقاع موسيقى لجذب المتلقي، واستمالته وللتأثير فيه ولإقناعه فالألفاظ المتناسبة أحدثت موسيقى وإصغاء مناسباً للمعنى الذي سيق له.

١٤) رد العجز على الصدر قائم على التكرار والتكرار ضرورة إلى سبك الكلام فإنه ينطوي حتماً على موسيقى فله دلالة لفظية.

١٥) بلاغة تناسب السجع من خلال الانسجام بين الطبقات الصوتية، وحقق جاء الجناس لإحداث إيقاع موسيقى لجذب المتلقي، واستمالته وللتأثير فيه ولإقناعه وكان تناسب السجع يمهد الذاكرة لحفظ القصيدة .

١٦) تناسب البديع ليس للزخرفة فقط بل الإقناع بمضمون القصيدة في الزهد في الدنيا .

١٧) اعتمد الشاعر على التناسب البلاغي ؛ ليدلل على تلاحم وتماسك النص كالبناء المتلائم الأجزاء للتأثير في المتلقي وإقناعه.

وأخيراً فهذا بيان موجز لأهم ما توصلت إليه.

أرجو من الله - عز وجل – أن أكون وفقت، والحمد لله رب العالمين

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

م	اسم المرجع	مؤلفه
1	القرآن الكريم	
2	الاتقان في علوم القرآن	جلال الدين السيوطي " تحقيق فواز أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٣ م /٣/٣٧١.
3	أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.
4	الإيضاح في علوم البلاغة	الخطيب القزويني ، ط ٤ ، دار الإحياء والعلوم بيروت
5	البديع	عبد الله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي، مطبعة الكتب الثقافية – بيروت.
6	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة	عبد المتعال الصعيدي ، الناشر مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م
7	البيان والتبيين	أبو عثمان بن بحر الجاحظ ج ١ – تحقيق درويش الجندي – المكتب العصرية صيدا بيروت – ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٥/ م.
8	البيان في روائع القرآن: ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني	عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م.
9	الحيوان	عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ)، ط٢ – دار الكتب العلمية بيروت – ١٤٢٤ هـ.

10	أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك	تأليف جمال الدين بن هشام الأنصاري، ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩م، الناشر مطبعة الفجالة الجديدة
11	خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني	أ. د/ محمد أبو موسى، ٢٦٤/١ مكتبة وهبه.
12	دلائل الإعجاز	للشيخ عبد القاهر الجرجاني صـ ٣١٦ قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة طـ ٣ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
13	ديوان ابن الآبار الأندلسي	أبي عبد الله محمد بن الآبار القضاعي البلنسي **(6558-595)** قراءة وتعليق الأستاذ عبد السلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدمات الإسلامية – المغرب ١٩٩٩م.
14	شرح المفصل للزمخشري	قدم له : الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية
15	الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسن المتوفي ٣٩٥ هـ ، ١٥٨/١
16	كتاب الصناعتين الكتابة والشعر	أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. تحقيق على محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ – ١٩٠٢ ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

17	العمدة في محاسن الشعر وآدابه	ابن رشيق القيرواني جـ١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م.
18	لسان العرب	ابن منظور الأفريقي ، دار المعارف القاهرة ، مادة / نسب دار المعارف القاهرة
19	مفتاح العلوم	السكاكي – بيروت – تحقيق نعيم زرزور.
20	لسانيات النص	مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
21	مفردات ألفاظ القرآن	للراغب الأصفهاني مادة سبل – تحقيق صفوان عدنان داوودي– دار القلم – دمشق – الدار الشامية – بيروت ط١ – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢
22	مقايس اللغة	أحمد بن فارس بن زكريا – ط٢ – مصطفى البابي، تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٩٦٩م.
23	نبض الشعر	قدامه بن جعفر ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي – طبعة دار عطوة للطباعة – القاهر – ط١ ، ١٩٧٩ م.
24	نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية	د . سعد مصلوح،، المجلد العاشر ، من مجلة فصول العددان الأول والثاني، يوليو – أغسطس ١٩٩١م .، ص١٥٧.

25	نقد الشعر	قدامه بن جعفر ، ط ١ ، ١٣٢٠ هـ. قدامه بن جعفر صـ ٥١ ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي – طبعة دار عطوء للطباعة – القاهر – ط١ ، ١٩٧٩ م.
26	الفروق اللغوية للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري	أحد أعلام القرن الرابع الهجري حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوريع القاهرة
27	الوافي بالوفيات	صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي ، ط ١ ج ٣ ، ١٩٩١ م.

الفهرس

م	الموضوعات	الصفحة
١-	المقدمة	
٢-	المدخل	
٣-	المبحث الأول: تناسب دلالات التراكيب في بناء القصيدة.	
٤-	المبحث الثاني: التناسب البياني في بناء القصيدة.	
٥-	المبحث الثالث: التناسب البديعي في بناء القصيدة	
٦-	الخاتمة.	
٧-	المصادر والمراجع.	